

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

/صفحة 153 / ويتصرف فيها ذوا الشعور كالانسان مثلا بتخصيص ما يتصرفون فيه لانفسهم وهو الملك الاعتباري الذي هداهم إلى سبحانه إلى اعتباره فيما بينهم لينتظم بذلك جهات حياتهم الدنيا. غير أنهم لا يقنون ولا يبقى لهم بل يذهبهم الموت المقدر بينهم فينتقل ما في أيديهم إلى من بعدهم وهكذا حتى يفنى الجميع ولا يبقى إلا هو سبحانه. فالارض مثلا وما فيها وعليها من مال ميراث من جهة أن كل جيل من سكانها يرثها ممن قبله فكانت ميراثا دائما دائرا بينهم خلفا عن سلف، وميراث من جهة أنهم سيفنون جميعا ولا يبقى لها إلا الذي استخلفهم عليها. وسبحانه ميراث السماوات والارض بكلا المعنيين، أما الاول: فلانه الذي يملكهم المال وهو المالك لما ملكهم، قال تعالى: " ما في السماوات والارض " لقمان: 26، وقال: " وملك السماوات والارض " النور: 42، وقال: " وآتوهم من مال الذي آتاكم " النور: 33. وأما الثاني: فظاهر آيات القيامة كقوله تعالى: " كل من عليها فان " الرحمن: 26 وغيره، والذي يسبق إلى الذهن أن المراد بكونهما ميراثا هو المعنى الثاني. وكيف كان ففي الآية توبيخ شديد لهم على عدم إنفاقهم في سبيل الله من المال الذي لا يرثه بالحقيقة إلا هو تعالى ولا يبقى لهم ولا لغيرهم، والاطهار في موضع الاضرار في قوله: " و " لتشديد التوبيخ. قوله تعالى: " لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا " الخ، الاستواء بمعنى التساوي، وقسيم قوله: " من أنفق من قبل الفتح وقاتل " محذوف إجازا لدلالة قوله: " أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا " عليه. والمراد بالفتح - كما قيل - فتح مكة أو فتح الحديبية وعطف القتال على الانفاق لا يخلو من إشعار بل دلالة على أن المراد بالانفاق في سبيل الله المندوب إليه في الآيات هو الانفاق في الجهاد. وكان الآية مسوقة لبيان أن الانفاق في سبيل الله كلما عجل إليها كان أحب عند الله وأعظم درجة ومنزلة وإلا فظاهر أن هذه الآيات نزلت بعد الفتح والقتال الذي بادروا إليه قبل الفتح وبعض المقاتل التي بعده.